المدينة القديمة (درنة) ما بين عامي 2019-2021م

دراسة واقع حال قبل وبعد الحرب (دراسة ميدانية)

د.آمال سعيد الفيتوري احسيرات
كلية الفنون والعمارة– جامعة درنة

د.فتح الله محمد أبوعزه
كلية الفنون والعمارة– جامعة درنة

أ.يوسف مفتاح يونس البرعصي
كلية التقنيات الهندسية–القبة

الملخَّص:

يعد من أبرز أسباب تدهور المدن القديمة، الإهمال والهجران من قبل قاطنيها. وبالرغم من أنَّ العوامل الطبيعية من زلازل وفيضانات وبراكين لها نتائج سلبية على العمران، إلا أنَّ الحروب تعد هي الأشد وطأة على دمار وانهيار موروث حضاري بشكل متعمد ومباشر، والتي تؤدي حتماً إلى ضياع هوية ومعالم عمرانية وتاريخية، كانت قائمة منذ تأسيس هذه المدينة والذي تجاوز عمرها مئات السنين.

يهدف هذا البحث إلى توثيق المدينة القديمة وإعداد دليل يوفر مخططات توضيحية يمكن الرجوع إليها بعد حقبة ما بعد الحرب، ممَّا يساعد على استرجاع ما قد ضاع من معالم تاريخية للمدينة. ثم جمع بيانات الدراسة من خلال دراسة ميدانية تمت خلال الأعوام **2019 – 2021م**، والتي تعد إعطاء وصف عام لواقع حال المدينة. إضافة إلى ذلك تم جمع المخططات ودراستها في السنوات السابقة ضمن سلسلة زيارات ميدانية علمية. توصل هذا البحث إلى وضع أهم النقاط التي تتعلق بتوثيق المعالم على المخطط العام للمدينة وعلى عدة مراحل زمنية، حيث أبرزها توفير مرجع يعد بمثابة دليل يجب الرجوع إليه من قبل الجهات المختصة عند البدء في إعادة بناء ما تهدم من مباني أو صيانة وترميم لما هو موجود حالياً.

الكلمات المفتاحية: درنة القديمة/ إضرار الحرب/ توثيق ميداني/ مقارنه قبل وبعد الحرب.

Abstract:

Neglect and abandonment of the residents' old cities are considered one of the main reasons of the old cities deterioration. Although the natural factors such as earthquakes, floods and volcanoes have a negative impact on urbanization. However, wars are considered the most severe impact on the destruction and collapse of a civilized heritage, deliberately and directly, which inevitably leads to the loss of identity and architectural and historical landmarks that existed since the founding of this city, which exceeded hundreds of years of age. . This paper aims to document the old city and prepare a guidelines that provides illustrative charts that can be referenced after the post-war era, which helps to recover what has been lost by the historical landmarks of the city. The data of the study was collected through a field study conducted during the years 2019-2021 AD, which is considered as giving a general description of the state of the city. In addition, the plans that were studied in previous years were collected as part of a series of scientific field visits. The paper reached to put the most important points related to documenting the landmarks on the general plan of the city and on several time stages, the most prominent of which is providing a reference that is considered as a guideline that must be referred by the competent authorities when starting to rebuild the demolished buildings or maintain and restore what currently exists.

Keywords: Old Derna / war damage / field documentation / comparison before and after the war.

المقدمة:

تعرضت المدينة القديمة في مدينة درنة لحرب شديدة عام **2018م** تسببت في أضرار فادحة في العديد من مبانيها السكنية والتجارية والدينية، حيث تركت مخلفات

بعد الحرب حيزاً كبيراً وسط المدينة فكانت فترة تأمينها لمدة سنة من الزمن، وتم الشروع في دراسة الوضع العمراني في هذه المنطقة منذ عام **2019م** فتمثلت هذه الدراسة في تصنيف مباني المدينة القديمة على النحو التالي: **مباني سليمة، متوسطة، متضررة، وهدم تام،** ودون مراعاة القوانين للتوثيق تم إزالة مخلفات الحرب بشكل عشوائي ممَّا ضيع بعض من معالمها في واقع الحال. إلا أنَّ الزيارات المتكررة لها خلال السنوات السابقة وتوثيق تفاصيلها من مخططات وصور قد أعطى البيانات الكاملة للمدينة قبل وبعد الحرب. وانطلاقاً من الحفاظ على الموروث المعماري لها، تم التوثيق المهم ووضع نقاط تفصيلية كدليل عمراني من هذه الحقبة التاريخية.

إنَّ الهدف من الحفاظ على معالم المدينة سواء بالصيانة والترميم أو بإعادة البناء بعد الضرر هو في حد ذاته استمرارية لتاريخ وزمن مدينة.

قسَّم الباحثون هذه الدراسة إلى النقاط التالية:

أولاً- توصيات اليونسكو بشأن الحفاظ على المدن القديمة:

يعد من أساليب الحفاظ على المدن القديمة أو المباني القديمة كما هو متعارف حسب توصيات اليونسكو لعام 1967م، المتعلقة بحماية المناطق التاريخية والتي توسمت في عدة بنود منها:

1. تعد المناطق التاريخية وبيئاتها المحيطة تراث عالمي لا غني عنه وينبغي على الحكومات والمواطنين المحيطين بها تحمل مسؤولية حمايتها واعتبارها جزء من حياتهم الاجتماعية.

2. ينبغي التعامل مع المنطقة التاريخية ومحيطها ككل متماسك/ متكامل قائم علي انصهار واندماج الأجزاء المكونة له مع بعضها والمتمثلة بشكل خاص في المباني والنشاط البشري واللذان لا يمكن تجاهلهم.

3. ينبغي بذل الجهود لحماية المناطق التاريخية ومحيطها تجاه كل أنواع عوامل التلف وبالخصوص الناتجة عن سؤ الاستخدام والإضافات غير المناسبة، وإجراء تغييرات غير مدروسة التي من الممكن أنْ تؤثر على أصالتها، وكذلك حمايتها من التلف

الناتج عن التلوث، وأنَّ إجراء أي أعمال ترميم ينبغي أنْ تكون على أسس علمية. وبالمثل ينبغي إعطاء الاهتمام والشعور بالانسجام والجمال الناتج عن اتصال أو تناقض الأجزاء المختلفة المكونة للمناطق التاريخية حيث يعطي كل جزء سمة معينة لكل منطقة.

4. عند تنفيذ المشاريع العمرانية والحضرية الحديثة والتي تؤدي إلى إحداث زيادة كبيرة في مقياس وكثافة المباني بالإضافة إلى تدمير المناطق التاريخية، يجب أنْ نعي بأنَّ هناك خطر حقيقي وهو أن المناطق المطورة حديثاً بإمكانها تدمير بيئة وسمة المناطق التاريخية المجاورة لها. لذا فأن علي المعماريين مصممي المدن أنْ يأخذوا حذرهم بالتأكيد من عدم التأثير على المناظر من وإلى المباني والمناطق التاريخية، والتأكد من أن المناطق التاريخية متكاملة ومندمجة باستخدام العناصر العصرية [1].

ثانياً- موقع المدينة القديمة درنة وتاريخها:

تقع مدينة درنة بإقليم برقة في الجهة الشرقية، حيث أقيمت على جزء من مدينة دارنس (المدينة اليونانية القديمة) وكانت عاصمة لـ (مرماريكا) ولاية ليبيا الشرقية قديماً. وهي مدينة جبلية تقع على ساحل البحر المتوسط في الشمال الشرقي على خط طول 32.45، وخط عرض22.40.أما درنة الحالية فأول من أسسها هم الأندلسيون الذين نزحوا إليها سنة 1040هـ 1493م عندما استقرت بعض العائلات الأندلسية بها. وأخذوا يشتغلون بالتجارة بشكل يفوق كل سكان برقة.

لم يبرز اسم درنة بصفة مستقلة فلقد كانت ضمن إقليم برقة الذي فتحه القائد عمرو بن العاص سنة 21 هـ /643 م .غير إن اسم المدينة قد أخذ في البروز في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري بعد استشهاد القائد زهير بن قيس البلوي ومن معه من الصحابة ودفنوا فيها بالمقام الذي يعرف بأضرحة الصحابة ، وإن كانت مأهولة بالسكان قبل مجيء الإغريق ، حيث كان يطلق عليها اسم (أراسيا)، وقد انتعشت أحوال درنة في العهد العثماني فترات 1638م، 1710 م، وفي عهد ولاية محمد باي على درنة في العهد العثماني الأول كانت من أكثر الفترات استقراراً وازدهاراً

، فكانت من بين أعماله بناء المسجد الكبير والذي تميز بمتانة بناءه وجمال معماره الإسلامي، ويقال أنه قد تم استجلاب مهندسيه من اسطنبول، بالإضافة إلى شق قنوات المياه (الساقية) وإيصالها للمدينة القديمة في تلك الحقبة [2].

من ضمن المباني بالمدينة السكنية والتجارية والخدمي والدينية تعد جزء منها وسط المدينة وأخر بأحد أطرافها حيث وزعت كما في المخطط التالي انظر(الشكل 1،2) :

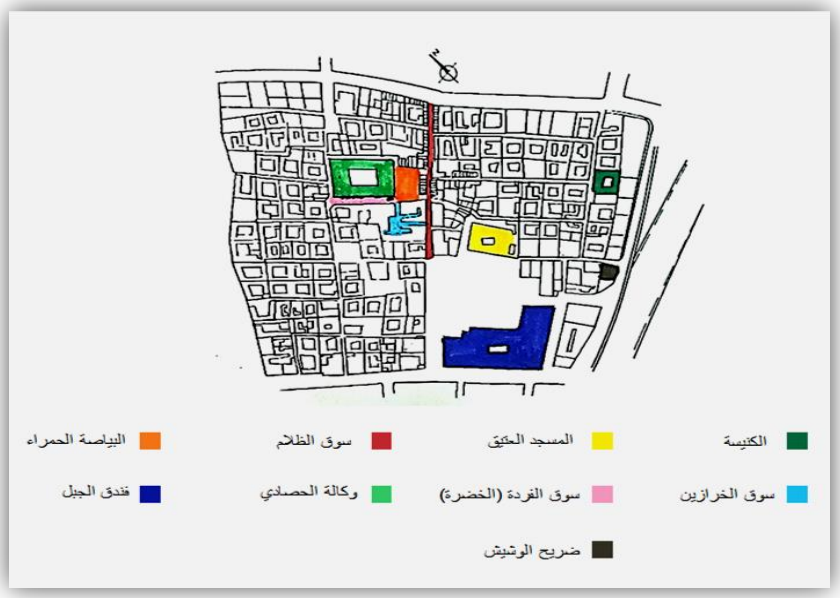

شكل 1 (خريطة توضح المباني أنواع المباني بالمدينة القديمة درنة)

المصدر: (قسم هندسة التصميم الحضري/ كلية الفنون والعمارة جامعة درنة 2007).

اسم المبني التاريخي	الصورة قبل الضرر
الكنيسة	
المسجد العتيق	
سوق الظلام	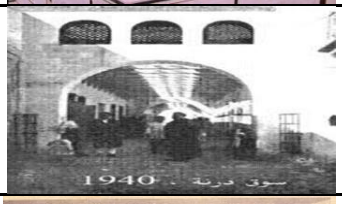
البياصة الحمراء	
سوق الخرازين	
سوق الفردة (الخضرة)	

وكالة الحصادي	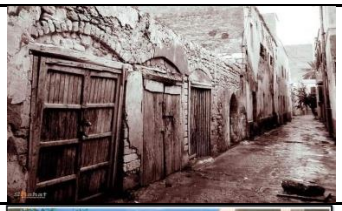
فندق الجبل	
ضريح الوشيش	

شكل(2) بعض الصور القديمة للمدينة تم توثيقها فترة الاحتلال الايطالي

تعرضت المدينة القديمة درنة لحرب ضروس عام 2018م فكانت القاضية على معالم معظم مبانيها ضاربة بعرض الحائط تاريخها العريق، ممَّا تسببت في ضياع ملامح الموروث العمراني المتمثل في أزقتها وساحاتها وأسواقها وكذلك مبانيها السكنية والحكومية، ممَّا استوجب التوثيق للوضع الراهن للمدينة بعد هذه الأزمة التاريخية في حق هذا الموروث القومي ووضع دراسة محدَّدة ومقارنة في وضع المباني بالمدينة بعد الحرب و حتى فترة الإزالة لمخلفات الناتجة عنها عام 2021م . فكان الحصر محدداً لما موجود فعلياً بالمدينة من مباني والتأكيد على المباني التي تم هدمها ضمن المخطط المعتمد للمدينة منذ عام 2007م ضمن دراسة ميدانية من قبل كلية الفنون والعمارة، قسم هندسة التصميم الحضري[3].

مرت المدينة القديمة درنة بمراحل من الهدم والبناء المتقطع بمواد بناء حديثة وأسلوب معماري مخالف للهيئة العامة للبناء المحلي وذلك من قبل مالكيها خلال السنوات التي سبقت عام 2018م، وعلي مراحل متعددة دون الرجوع للقوانين واللوائح المتعارف عليها عالميا وكذلك المشرعة ضمن دولة ليبيا والتي عرفت المدن القديمة انها "هي الكيان المعماري المتجانس أو المتميز المستقل أو المتكامل ضمن حدود متعارف عليها أو داخل أسوار تحيط وتشمل المساكن والمدارس والمساجد والأسواق والشوارع والحدائق وكافة المعالم والشواهد والآثار داخل الأحياء والمدن القديمة ممَّا مضي علي إنشائها مائة عام فأكثر أو التي شهدت حدثاً تاريخياً هاماً ولم تمض

حقبة ما قبل الحرب:

اللـون	حالات الابنيـــة	مساحة	% نســبة
	مبـــاني حديثـــة	26767.5673	43.5
	مبـــاني قديمـــة	34750.1169	46.5

عليها هذه المدة" [4]. انظر (الشكل3).

(الشكل 3) دراسة ميدانية قسم _ هندسة التصميم الحضري _كلية العمارة والفنون _ عام 2007

2.حقبة ما بعد الحرب:

تم توثيق ما تبقَّى من مباني المدينة بترقيمها مع رموز لحالتها وتحديد الموجود والمتهدم على مخططات حديثة متماشية مع ما هو موجود سابقاً والمقارنة بينهما، لذلك تمت دراسة المدينة القديمة درنة على مرحلتين:

1.2 : قبل الإزالة للمباني التي تم هدمها جراء الحرب:

(شملت المباني القديمة والحديثة) فتمت الزيارة الميدانية الأولى بعد التنظيف من (المتفجرات) وقبل إزالة المباني المتضررة والمنهارة وذلك بداية عام 2019م فكانت الخريطة الأولى من قبل الباحثين لوصف الوضع قبل البدء في عملية التنظيف .

2.2 **بعد الإزالة لمخلفات الحرب وتنظيف المنطقة :**

1.2.2 مرحلة التصنيف للحالة لكل مبنى في المدينة تمت هذه المرحلة بالمشاهدة مباشرة وتقييم كل مبنى حسب أساساته الإنشائية والمستوى الذي وصل إليه من الضرر، تم وضع رموز استباقية للرجوع إليها في دراسات لاحقة بعد التنظيف والمسح من قبل الجهات المختصة حيث الرموز التالية تسهل معرفة مستوى كل مبنى وتصنيفه وهي أربع حروف (A,B,C,D) ورقمين (1) و (2) كما في الجدول التالي:

المستوي في ضرر المبني	حديث 1	قديم 2
A سليم	1	2
B متوسط	1	2
C متضرر	1	2
D هدم	1	2

جدول يوضح الوضع للمباني قبل الإزالة و المتبقي منها من آثار الحرب 2018م

إنَّ بناء المدينة القديمة المتماسك والمتراص ساعد على مقاومة بعض المباني من اهتزازات القذائف ولازالت موجودة إلى الآن، وذلك يرجع للجدران الحاملة وسمك بنائها الذي يصل إلى**80سم** في أغلب البنايات وكذلك الطوب الحجري والطين وخفة السقوف المكونة من جذوع الأشجار ساعد على استمراريتها، إلا أنَّ الاستهداف المباشر للمباني أصاب إصابة مباشرة للكثير منها ، فتم تقييم المباني تبعاً لجدول

قابلية الإصابة ودرجات الأضرار (الانهيارات) وفقاً للمقياس الأوروبي European Macro-seismic scale 1998 [5].

ضرر من الدرجة الأولى: grade of Damage 1 (ضرر مم لإلىسطحييمكنتجاهلها)إلا أضرار في العناصر الإنشائية وبسيطة في العناصر غير الإنشائية تشققات شعرية في عدد قليل جداً من الجدران، سقوط قطع صغيرة من القصارة. في حالات نادرة تسقط الحجارة غير المثبتة (الضعيفة) من الأماكن العالية.	
ضرر من الدرجة الثانية : grade of Damage 2 (ضرر متوسط) . سطحي في العناصر الإنشائية ومتوسط في العناصر غير الإنشائية' تشققات في عدد من الجدران، سقوط قطع كبيرة من القصارة بشكل واضح، تدمير جزئي للمداخن فوق السطح.	
ضرر من الدرجة الثالثة: grade of Damage3 (الضرر كبير/شديد)متوسط في العناصر الإنشائية وقوي وشديد في العناصر غير الإنشائية تشققات كبيرة ممتدة في معظم الجدران، يظهر انفصال بين السطح والجدران. تدمير كلي للمداخن فوق السطح. سقوط بعض العناصر غير الإنشائية غير المربوطة جيدا كالقواطع.	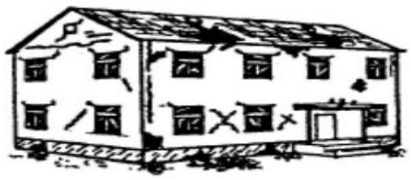
ضرر من الدرجة الرابعة: grade of Damage 4 (ضرر شديد جدا) .شديد في العناصر الإنشائية وشديد جدا في العناصر غير الإنشائي سقوط خطير للجدران، سقوط جزئي للعناصر غير الإنشائية من أسقف وبلاطات.	
ضرر من الدرجة الخامسة: grade of Damage 5 (انهيارو مدم) .انهيار شديد جدا في العناصر الإنشائية (سقوط و انهياركليأوقريبمنالكلي.	

جدول درجة الأضرار والانهيارات وفقاً للمقياس الأوروبي EMS98-

المصدر : جلال نمر الدبيك 2010 EMS 1998

2.2.2 المباني الحديثة يوجد فيها السليم والمتوسط والمتضرر والهدم وتعتبر الأقل نسبة تعرضاً للإضرار في فترة الحرب خصوصاً في المنطقة الشرقية من المدينة القديمة .

3.2.2أما المباني القديمة فهي الأكثر نسبة تعرضاً للضرر فكانت منطقة حرب أساسية وهي الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة.

- حيث نجد المباني السليمة منها تعرضت بشكل طفيف لطلقات نارية قد أصابت الجدران والنوافذ .
- أما المباني المتوسطة قد وصلت الأضرار فيها إلى وضع فتحات في الجدران والسقوف إلا أنها متماسكة وصالحة للاستخدام .
- المباني المتضررة منها تم تهالك نصف المبني وضاعت معالم الواجهة المعمارية له وذلك بانهيار جدارين أو أكثر وسقوط سقوف وغير صالح للاستخدام رغم هيكله بشكل عام لازال موجود .
- المباني المهدمة وهذه الفئة وقعت مستوية بالأرض تماماً وهي مجرد كوم حطام . (انظر إلى المخططات توضح المستويات).

شكل (خريطة توضح المباني الحديثة 1 بالمدينة القديمة ومستوي الاضرار فيها بعد الحرب) المصدر: الباحثون،2021

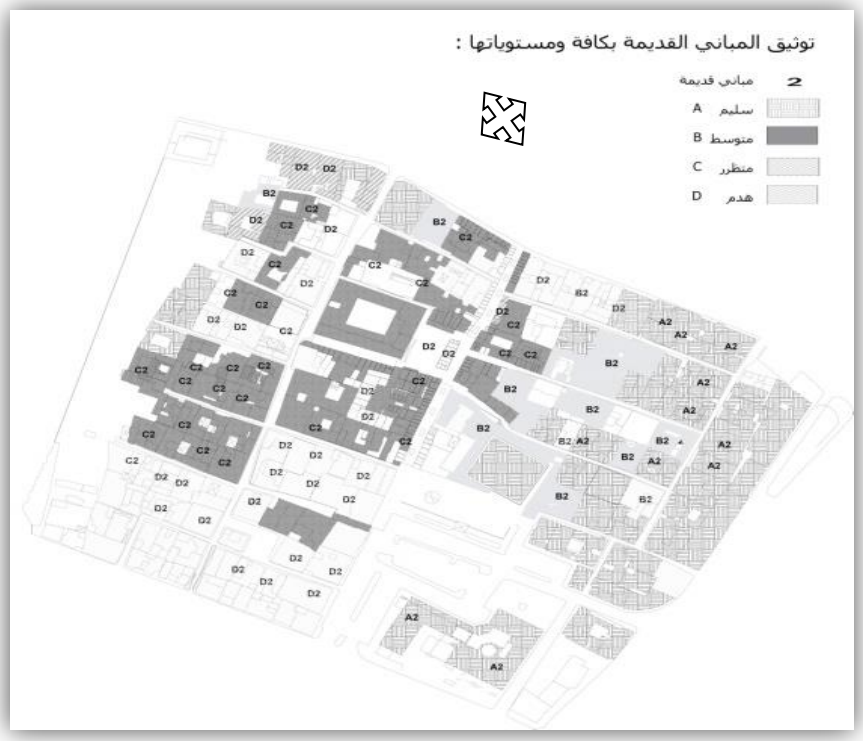

شكل (خريطة توضح المباني القديمة 2 بالمدينة القديمة ومستوي الأضرار فيها بعد الحرب) المصدر: الباحثون،2021

- رغم تعدد مسميات مباني المدينة القديمة وتنوعها (ديني وتجاري وسكني).
- تم أخذ أهم المباني الشهيرة في المدينة للدراسة في الزيارات الميدانية لأهمية تاريخها.

توثيق المباني الدينية بعد الحرب حسب تصنيف الدراسة					
ت	اسم المبني الديني	حديث	قديم	الرمز	الوصـــف
1	المسجد العتيق		2	B	الموجود في واجهة المدينة القديمة جنوبا والذي كانت إصابته طفيفة حيث تضررت أبوابه ونوافذه وأعمدته وكذلك المنبر التاريخي إلا أنَّ أساساته سليمة ، وقد تمت فعليا صيانته عام 2021 م.

2	مسجد التجار		2	B	حيث يقع خلف المسجد العتيق ضمن وحدات سكنية فكان في حماية أكثر من أضرار الحرب حيث تعتبر حصيلة الأضرار بين حرق وطلقات نارية بالجدران والسقف .
3	ساحة مسجد التجار		2	C	أما ساحته الأمامية ومجاورتها قد لحقها الضرر.
4	مسجد الدرقاوية		2	C	يعد الأكثر ضررا في المساجد حيث طمست اغلب معالمه ، إلا انه أساساته لازالت موجودة.
5	ضريح الوشيش		2	D	الواقع جنوب شرق المدينة القديمة ، تم الهدم بالكامل
6	الزاوية العيساوية	1		A	سليمة ولم تتعرض للضرر.
7	الكنيسة المسيحية		2	A	المطلة على زنقة اليهود ، تعرضت لإضرار بسيطة اثر طلقات نارية وقد تمت صيانتها بالكامل .
8	الكنيست اليهودية		2	C	المطلة على زنقة اليهود متضررة.

توثيق المباني التجارية بعد الحرب حسب تصنيف الدراسة					
ت	اسم المبني التجاري	حديث	قديم	الرمز	الوصـــف
1	سوق الظلام (النور)		2	B,C, D	تعرضت المباني التجارية لأكبر كم من الضرر وذلك بسبب وقوعها وسط المدينة وذات ازقة ضيقة متفرقة تشمل المحلات ، منها والذي تأثر بشكل كبير في تشويه الواجهة المعمارية له رغم تماسك جدرانه وسقوفه.
2	وكالة الحصادي		2	B ، C	يعد من اكبر أسواق المدينة القديمة جزء منها لا يزال قائم ، تم هدم الأروقة الأمامية لها ومسح الواجهة المعمارية بالكامل إضافة إلي الأضرار الفادحة بالسقوف والجدران.
3	سوق الخرازين		2	D	تم الهدم تماما.
4	سوق بوفرده (الخضرة)		2	C,D	تم هدم السوق .وبقيت جميع البنايات المجاور ' له علي مستوي متضرر

توثيق المباني الحكومية بعد الحربحسب تصنيف الدراسة					
ت	اسم المبني التجاري	حديث	قديم	الرمز	الوصـــف
1	فندق الجبل الأخضر	1		A	سليم من الأضرار وهو يحتاج إلي صيانة.
2	مبني البلدية	1		D	وقد تم هدمه بالكامل
3	مسرح عبد الهادي	1		D	وقد تم هدمه بالكامل

أمَّا المباني السكنية المتعددة الطوابق والمتنوعة البناء ذات التاريخ المتفاوت العمر كانت في الجنوب الغربي الأكثر هدماً، وكلما اتجهت شمالاً قل عدد المباني تضرراً، وجميعها تم مسحها بواسطة هذه الدراسة عام 2021م .

تقدر الخسائر التاريخية في اختفاء العناصر المعمارية للمباني القديمة :

1. من واجهات ذات تفاصيل عثمانية وأندلسية وكذلك ايطالية.
2. دمار للهيكل الإنشائي القديم والمتمثل في أحجار وأخشاب والذي يعتبر من أسس تشييد المباني القديمة المتعارف عليها تراثياً.
3. اختفاء أزقة وشوارع وساحات تعتبر من أساسات المدينة القديمة وهويتها .
4. دمار أسواق ومقاهي تراثية .
5. خسارة موروث تاريخي يرمز لمدينة درنة يقدَّر عمره بمئات السنين.

مخطط يوضح المتبقي من المدينة القديمة لعام 2021م بشكل منظوري

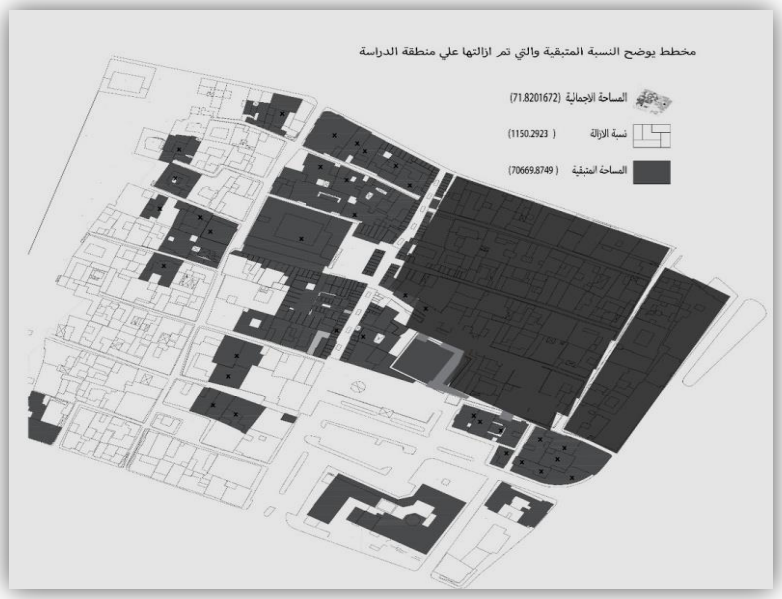

دراسة واقع حال عام 2021		
نسبة ما تبقي من المدينة عام 2021 م حسب توثيق البحاث		
المساحة الإجمالية للمدينة القديمة القديمة (718201672م)	المساحة التي تمت إزالتها من المدينة القديمة (1150.2923م)	المساحة المتبقية من المدينة القديمة (1150.2923م)

Samsung Triple Camera
Dr.Amal Ahsairat

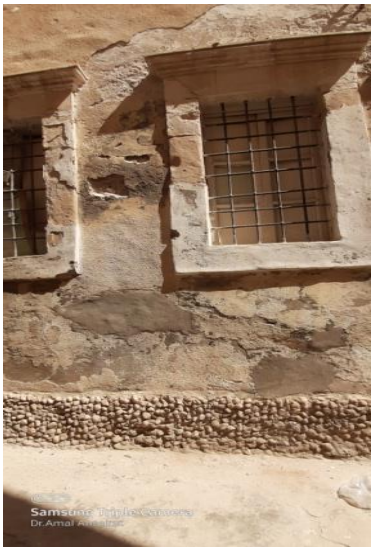

بعض الصور توضح مدى الأضرار وأنواعها التي لحقت بالمدينة القديمة درنة (صور من الباحثين) عام 2021م

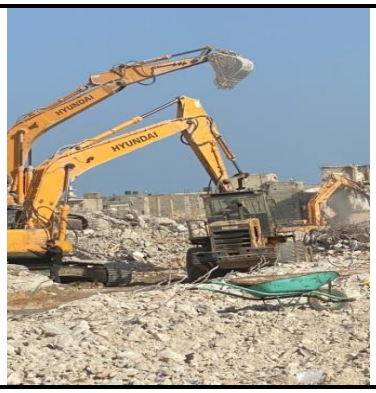

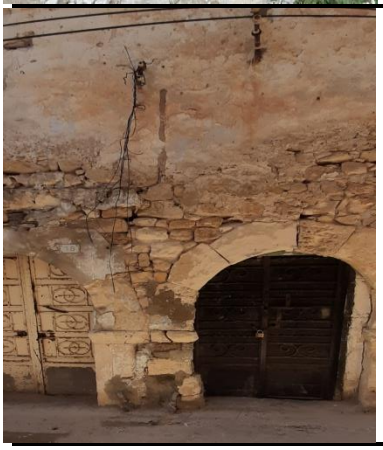

بعض الصور توضح وضع المدينة بعد المسح وتنظيف وإزالة بعض المباني في المدينة القديمة (صور من الباحثين) عام 2021م.

الخاتمة والتوصيات:

من خلال ما سبق نخلص إلى الآتي:.

1. إن إعادة بناء مدينة قديمة أو جزء منها يعتبر من أساسات حفظ المباني التاريخية المتعارف عليها عالمياً مثل منظمة اليونيسكو المهتمة بالعمران التاريخي ، وعليه يجب الرجوع إلى قوانينها قبل الشروع في الصيانة والترميم أو إعادة بناء المباني المتضررة بالمدينة القديمة درنة .

2. من الأولى الاستعانة بجهاز حماية المدن التاريخية وجهاز الآثار بالمدينة لما لديهم من صلاحيات مشرعة من قبل الحكومة لتسهيل وضع الخطة لصيانة المدينة .

3. توجيه دورات تدريبية لشباب المدينة تحت إشراف الخبراء المحليين في مجال البناء المحلي ، خصوصاً من لديهم خبرة في إنتاج مواد البناء من المصادر الطبيعية المحلية بالمدينة .

4. الرجوع إلى دراسة عالمية ناجحة في إعادة إعمار مدن قديمة مثل مدينة غدامس القديمة (جوهرة الصحراء) أو من الوطن العربي مثل مدينة فاس بالمغرب .

5. تعتبر هذه الدراسة وضع لحجر الأساس لعملية إعادة بناء المدينة القديمة درنة وعليه فهذا البحث يوصي الجهات ذات العلاقة بتكملة بقية التفاصيل من مخططات مكبرة وصور تفصيلية منقولة بجمعها من أصحاب ومالكي المباني المتضررة ووضع منظومة متكاملة كمرجع تعليمي يجب إتباعه مستقبلاً من عدة جهات تعليمية وعقارية.

المراجع :

1. د.سلمان أحمد المحرق، حفظ المباني التاريخية ، مبان من مدينة المحرق .

2. الطرابلسي، مصطفى عبد العزيز، درنة الزاهرة قديماً وحديثاً، منشورات جامعة درنة 1999،

3. المكتبة ، دراسة عن المدينة القديمة درنة ، تصميم حضري ، كلية الفنون والعمارة لعام 2007م .
4. قانون رقم (3) / صادر بشأن حماية الآثار والمتاحف والمدن القديمة والمباني التاريخية. لسنة 1424 ميلادية .
5. د.جلال نمر الدبيك ،التصميم المعماري للمباني المقاومة للزلازل ،جامعة النجاح الوطنية ، 2010م.